

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

سجل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
حاجدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المجلة

مجلة أسبوعية تلفظ قصصك والنايخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٩ رمضان سنة ١٣٥٨ - أول نوفمبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٧

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة		
١٠١٨	حبيبي القديس الفاسق ...	من الانجليزية ...
١٠٣٦	كيف ففدها ...	أفصوصة مصرية ...
١٠٤١	انتقام حبيبة ...	من الانجليزية ...
١٠٤٤	مجنون ...	لكاتب الفرنسي جى دى موباسان
١٠٤٨	الزوج النائب ...	من الانجليزية ...
١٠٥١	الناية تبرد الواسطة ...	أفصوصة مصرية ...
	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...	
	بقلم الآنة جميلة الملايلى ...	
	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار ...	
	بقلم الأديب السيد عبد المزوى ...	
	بقلم الأستاذ (ع. ا.) ...	
	بقلم الأستاذ عبد الحميد جودة السحار ...	

حببي القديس الآثم

[قصة حصلت على جائزة ١٥٠ جنيتها]

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

وليس غرضي من الكتابة هو على وجه
الدقة التكفير عن خطيئتي ، ولا هو تبرير
حبي لروجر مكفأى ، فإنه على الرغم من جميع
ما عمله لا أزال أحبه ، ويهون على أن أصحى
من أجله بحياتي وبما هو أغلى من حياتي
وقد فعلت

نعم فإنه على الرغم من كرمي واحتقاري
تلك الشخصية الخبيثة ما زلت أحب الشخصية الأخرى
المظيمة ذات الخلق السامي ، في نفس ذلك الطبيب
الحسن الشفيق الذي لا يهمل أبداً المتألمين ولا المرضى .
أحب ذلك الطبيب الرفيق الذي يحب الأطفال الصغار
والذي يمد يديه السحريتين للمواساة والعلاج غير
منتظر أجرأ ولا جزاء . تلك الشخصية لا تزال
موضع حبي العميق الذي تسرب إلى أعماق قلبي
فلا تقوى على محوه يد شخصيته الثانية الدنيئة

كنت لا أزال في المدرسة لم أتجاوز السابعة
عشرة من عمري عند ما قتل أبواي وأختي الصغيرة
إيلين في حادث سيارة . . . وسأخطئ ذكرى تلك
الأيام المزجة التي لا بد أن يقضيها الإنسان في الحزن
على موته ، فهي أيام لا يستطيع أحد التخلص منها
لم يبق لي في الوجود بعد أبوي وأختي أحد من
الأقارب غير عم لم يسمع أبي عنه شيئاً منذ سنوات
حتى لم نكن نعلم إذا كان هذا المم واسمه جيم قد
مات أو هو لا يزال حياً

ولم أكن أملك من المال بعد الذي أنفق على
الجنائز الثلاثية من قيمة التأمين الضئيل الذي كان
أبي مؤمناً به على حياته غير مبلغ لا يزيد إلا قليلاً
على خمسين جنياً . فطلبت من مستر جون أوفر
وصي وخير أصدقاء أبي أن يودع هذا المبلغ أحد

« لقد اعتزمت أن تطالب بحقها كاملاً في
الأمومة إلى أن ... »

أظن أنني أحببت الدكتور روجر مكفأى من
اللحظة الأولى التي رأيته فيها ، فقد أقبل على وأنا
راقدة ملفوفة في ضمادائي ، فكانت تحبته البشوشة
كأنها شعاع من أشعة الشمس المشرقة وقد قال :
« كيف حال بطلتنا الصغيرة اليوم ؟ »

ووضع على صدري وهو يحببني ورده حمراء
طويلة الساق لا تمكن من استنشاق شذاها الزكي
الفيحاح إذ لم يكن في مقدوري أن أرفع يدي أو حتى
أحرك رأسي ، وكل ما كنت أستطيعه هو أن أعبر
عن الشكر بالنظرات

ولما صادقت الدكتور مكفأى فيما بعد لم أملك
إلا أن أعبده وأن أعبدته ، حتى وإن كنت لم ألبت
أن أعرف أن لجورج مكفأى شخصيتين منفصلتين
ومتفاوتتين : شخصية قديس في صورة طبيب ،
وشخصية رجل مندفع صخري القلب وحشي الطباع
قاس لا يرحم . . . وقد مضت سنوات قبل أن أسلم
بهذه الحقيقة حتى في أحلك أوقاتي وأشدّها تعاسة .
وهذه الشخصية الزوجية هي التي دفعتني إلى كتابة
هذه القصة

المصارف إلى أن يأتي الوقت الذي أرجو أن أصبح فيه ممرضة تحت التجربة في أحد المستشفيات القريبة من لندن

وكان في وسع جون آدمز أن ينصح لي وأن يولينى صداقته ، ولكن لم يكن له من أسباب المادة ما يمكنه من مساعدتي .

على أنه قد حان الوقت الذي لبست فيه لباس ممرضة تحت التجربة الذي كنت أشتهي ، فشمرت إذ ذاك بالسعادة البالغة . وماذا يهمني أن يكون العمل كثيراً أن تكون الساعات طويلة ، فسيأتي اليوم الذي أصبح فيه ممرضة أصيلة . . . ولكن ما كان أضيع أحلامي !

لقد كان عملي مرضياً ، فقد كنت - على ما قالوا - أهلاً لأن يوثق بي . ولما كان عدد الممرضات قليلاً في تلك الأيام ، فقد تصادف أن كنت قائمة وحدي بواجبات الليل عند ما شب في المستشفى حريق هائل . . . وهل في مقدوري أن أنسى هول تلك الليلة الفظيمة ! إنها لتتمثل واضحة في ذاكرتي بمأساتها الفاجعة ، ولا يزال لها في أذني دوى أشبه ما يكون بدوى القنبلة تنفجر على حين غفلة فيملأ صوت انفجارها الجو هولاً وارتباعاً ! رب ! البناء المحترق يمكن تجديده . . . أما أنا . . .

وقع الحادث المروع مفاجئاً ، فقد كان كل شيء هادئاً قبل دقيقة واحدة من وقوعه . كان كل شيء ساكناً وديماً وداعة الطفل النائم في حضن أمه ، وكان النسيم الليليل يحرك أوراق الشجر في لطف عند ما دوت في الجو صبيحة « النار ! النار ! » ، وارتفعت في الجو أصوات الاستغاثة مختلطة بدقات الأجراس وصراخ الفرعين ، وبكاء الأطفال الذين

كنت ساهرة عليهم ينادوني : « ممرضتنا جودي ! ممرضتنا جودي ! » ، وكان عدد هؤلاء الأطفال ثلاثة عشر كلهم دون الثانية عشرة من أعمارهم ، فاندفعت إلى باب الغرفة ولكن اللهب والدخان صداني فأقفلته ووقفت وراءه أسنده كأما جسمي الضئيل يستطيع مقاومة هذا الجحيم المستمر

وتتابعت الأفكار في رأسي بسرعة كالبرق ، ولم يكن في هذا الجناح القديم منفذ للهرب من الحريق ، وكان يجب ترك هذا الجناح منذ زمان بعيد ولكن الحاجة الماسة للأمكنة هي التي أرغمت مجلس إدارة المستشفى على مواصلة الانتفاع به . على أن هؤلاء الأطفال يجب إنقاذهم ، ولكن كيف ؟ لقد أعاد لي صراخهم صوابي فشمرت على حين حاجة بالقوة واليقظة فصحت بصوت عال لأسمهم « اهدأوا ، اهدأوا ، فسوف تنقذكم الممرضة جودي ، ولكن يجب أن تهدأوا وتطيعوا ما أمركم به ! »

وجريت إلى الشباك فنظرت إلى رجال الطافي وهم يرفعون أحد سلام الحريق . وكنت في الطابق الثالث فازلت أصيح وأبدي إشارات يدي ورأسي وأصيح أمرة بما أريد حتى تنبهوا لي وفهموا إشاراتي وفي أسرع من لمح البصر نصبوا شبكة إجابة لإشارتي . أما أنا فكنت كمن مه جنون أجرى إلى مرافد الأطفال أحملهم الواحد بعد الآخر فألقي به من النافذة غير منتظرة أن أرى إن كان قد وصل إلى الشبكة سالماً . ولم أكن أبالي بما يلفحني من وهج النار إذ لا بد أن أنقذ الأطفال جميعاً . وكنت كلما ألقيت طفلاً أعد : واحد . . . اثنين الخ إلى أن عدت اثني عشر . وكانت السنة النار قد اقتربت من غرفتنا واشتدت الحرارة اللاخفة ولكن لم يكن بد من أن أنقذ

واستأنفت عملي في التدريب على التمريض ولكن ظهر بعد أسبوعين أن استمرارى فيه غير ميسور فقد كان المرضى يتأفقون كلما رأوني ، حتى الأطفال كانوا إذا اقتربت منهم صاحوا به « إبتعدى ! إبتعدى ! » ولم يكن ذلك قسوة ولكنهم لم يكونوا يستطيعون مقاومة الرعب المصاحب بالشفقة حين ينظرون إلى وجهى ، كذلك لم يكونوا يحبسون دموعهم التى تظفر عند رؤيتى

ولم تكن لإدارة المستشفى لتبالي بما فى عملها من قسوة إذا كان الأمر مما يتصل بمصلحة المرضى ، لذلك لم تدهشنى كلمات مس اسمت الرئيسة الرقيقة ، ولا تلتطف الدكتور بيرنس عند ما قال : « أخشى ألا تساعدك قوتك على العمل الآن . وهذا مما يؤلنى ، ولكن فلنفكر فيما يمكن أن نساعدك به »

ثم دخل الحجرة الدكتور مكفاى بقوامه الطويل الرشيق وعينيه السوداوين الساحرتين ، فا رأيت حتى وثب قلبي فى صدرى ، فلقد كان الدكتور مكفاى شقيقاً جد شقيق فى معاملتى فى أيام نقاهتى ، وفى الأسبوعين الماضيين الأخيرين ... ولكنه كان شقيقاً على كل إنسان وبذلك جرت سمته فى كل مكان ! وما كان أجمل صوته القوى وهو يحترق الجو إذ يقول :

— ما هذا الجحود الذى أرى ! ألم تكذب مس هاتون تجود بروحها فى سبيل إنقاذ المرضى ؟ وكل جرح فى وجهها شهادة ناطقة ببطولتها التى لاعهد لهذا المستشفى بمثلا من قبل ! والآن تجروثن على أن تذفوا بها إلى الطريق بلا عمل ولا مأوى ولا شيء غير ساعة من الذهب تسخر من خيبتها الهائلة ...

الطفل الأخير فابن هو ؟ وتكاثف الدخان وخنقنى ولكننى لم أكن لأبالي شيئاً ؛ ثم سمعت أنيناً ضعيفاً دلتنى على مكان الصغير دافى

وما أشك فى أن قوة إلهية هى التى أوصلتني إلى مكان الصغير فلففته وحمته بسرعة إلى النافذة وكانت النار قد صعدت من الطابق الثانى إلى طابقنا وكان الدخان كثيفاً فلم أر الشبكة إنما يجب انتهاء الفرصة .

ولكن لا ! لم أجرؤ أن ألقى بدافى الصغير فقد كانت رجله مكسورة مجبسة وكنت أخشى عليه ، فشددت عليه بين ساعدى ووثبت به من النافذة لطمت ألسنة النار وجهى وساعدى وكفى وشممت رائحة شمعى يحترق عند ما وضعت قدمى على عتبة الشباك لأتب ... ثم ...

لم أشعر بعد ذلك بشيء حتى عاد إلى صوابى بعد أيام وأما راقدة فى المستشفى ملفوفة فى ضمادات أحس آلاماً تمنيت أن ينقذنى الموت منها ... ولو أنه أنقذنى لكان خيراً من الحياة التى عشتها من ذلك التاريخ

وكافأتى مجلس الإدارة بساعة من الذهب وشهادة اعتراف ببطولتى ولكن ما كان أقصى الثمن الذى دفعته . فبدلاً من الفتاة جوديت هاتون الجميلة بكل ما فى كلمة جمال من معنى حلت فتاة ليس لها منها إلا اسمها ، مشوهة الوجه والساعدين واليدين أقبح تشويه من أثر الحريق

وخافوا ألا ينمو شمعى الذى احترق ؛ وفعلوا لم ينم فى مقدمة الرأس فألبحت طاقة من الشعر الصئاعى ، فلما نظرت فى المرآة كدت أصرخ لما رأيت من تناقض بعد ذلك الشعر المصفف تصفيفاً جميلاً وبين خلقتى المشوهة

فأجاب الدكتور بيرنس بقوله :

ليس هناك ما يدعو للتعب يا دكتور فقد اعترفنا
ببطولة مس هاتون وقدرناها وقد عينا بأمرها كل
العناية . والآن نحاول أن نوفر عليها ما تشعر به من
ضيق ونالم

فكبحت جاح دموعي وقلت :

— إنه على حق فيما يقول يا دكتور مكفاى ،
فقد كان يجب أن أترك المستشفى على أية صورة من
الصور ، فإن المرضى يتأذون حين يروننى . وأشرت
إلى ما فى وجهى وساعدى من أثر الحرق . فقال
الدكتور مكفاى فى لهجة هى الشفقة الجسمة ، وقد
وضع كفيه على كتفى المرتجفتين :
— يالك من فتاة مسكينة !

ثم نظر إلى الدكتور بيرنس وقال :

— أرى أننى لا أزال جديداً هنا ومن الجائر
ألا يكون لى حق التدخل فى شؤونكم ؛ لذلك يسرنى
أن أعرض على مس هاتون وظيفة سكرتيرة لى
وهكذا بدأت أعمل سكرتيرة للدكتور مكفاى
فى غرفة صغيرة بميادته أكتب على الآلة الكاتبة ،
وأرتب مسودات كتاب كان يضعه فى مرض الأطفال
وأضيت فى عملى أزداد كل يوم له حباً . وكانت
أسعد لحظات حياتى هى التى يدخل فيها إلى غرفتى
لمبلى شيئاً جديداً أو يراجع ما كتبت معتذراً كلما
احتد غضباً إذا وقف على شيء من الخطأ فى عملى .
وكنت كل يوم أدعو الله ألا أخطئ حتى لا أغضبه
ولقد أدركت الآن أن بعض الغلطات التى كان
يلومنى عليها كانت من عمله هو إذ كان يغير آراءه
فى بعض فقرات الكتاب

ومضت أسابيع وحياتى هى عملى ، فلم أكن

أشعر بالحياة إلا إذا دخلت غرفتى الصغيرة وانكبت
أعمل للرجل الذى أحبته . وكنت أحضر مبكرة
وأنصرف متأخرة . وقد استأجرت غرفة لسكنى
كنت أطمح فيها طعامى ، متجنبية لقاء الناس
إذ كنت لا أحب أن يرى وجهى المشوه أحد حتى
الغريباء الذين أمر بهم فى الطريق ، فكنت أقضى
حاجاتى بالتليفون حتى ملابسى . وكنت إذا خرجت
إلى طريق وضعت على وجهى حجاباً كثيفاً

ولم أكأ أجمع بأصحابى بل تجنبتهن إلى أن
انقطعت كل صلة بينى وبينهم فلم يعد أحد يزورنى
حتى ولا يسأل عني بالتليفون ، فأصبحت بذلك فى
وحدة موحدة ، ولكننى تمزيت عنها بالعمل للرجل
الذى أحبته . وكنت إذا انتهيت من عملى وعدت
إلى غرفتى حملت بالحياة التى كان من الممكن أن
أحياها معه لو لم أصب بذلك التشوه

واعتقدت أنه حتى أحلامي فى أخشن صورها
لن تزيد على أن تبقى أبدأ أحلاماً لا أكثر
وفى إحدى الليالى سألتنى فى لطف إذا كنت
أستطيع السهر فى العمل معه لأن لديه فصلين من
الكتاب يريد إنجازهما دون أن يقطع عليه أحد عمله
فكان طبيعياً أن أرحب بطلبه سعيدة به

وجدت الدكتور مكفاى فى انتظارى ، فلما
حضرت حمل الآلة الكاتبة إلى الغرفة الكبيرة
توفيراً لراحة العمل وألح على أن أشرب كأساً من
الخمر معتذراً بأنه قد أضاع على ليلتى . فقمعت
أن ما حدث هو الخير

وجلس على المكتب أمامه وقد جلس على
الصفة جلسة مريحة وقال :

— أرجو أن تنفرد لى كسلى فإننى متعب
تعباً شديداً

الدم حاراً في كل جسمي حتى اضطربت من شدة
الفرحة بقربه ، وبلغ من شعوري بالسعادة أن تميت
الموت بين يديه . واندفع هو يقبل شفتي في حرارة
وشوق ورغبة . فلم يمر للتمتع أثر في خاطري .
ولم أفكر فيما هو صواب وما هو خطأ ، فلقد كان
هو كل سعادتي وحياتي ، وكل ما يتصل بكياني
ووجودي ملك له
وبعد بضعة أسابيع من هذه الليلة السعيدة
قال لي :

— أريد يا جوديت أن تحضري قسكني في بيتي
فسأنته :
— أنت قصد بذلك أن تأسيتزوج أحداً من الآخراً ؟
فأجاب :
— إنك تعرفين يا بيتي العزيرة أنني لا أستطيع
الآن أن أتزوج منك . فهل تشعرين بالسعادة من
حبك لي ؟ ولا أظنك تريدن تحطيم مستقبلي ... ؟
وما أحسبك إلا قاهمة ما أقول ؟ !
وعلى الرغم من أنني لم أفهم دمدمت بكلمة « نعم »
في لهجة متقطعة ... ولم ألبث أن انتقلت إلى بيته
حيث قدمني لمديرة البيت ولسائق سيارته باسم
« مس هاتون سكرتيري الخاصة »

وإذ تبينت لأول مرة حقيقة الخطوة التي
خطوتها شعرت برجفة من الخوف تسري داخل
كياني ، ولكنني لم أفكر قط في النكوص ، فلقد
كنت أحب روجر حباً لا أستطيع معه أن أفلت
فرصة وجودي دائماً على مقربة منه

وإني لوائقة أنه لا جين يروان مديرة البيت ،
ولا هاري باركر السائق قد ساورهما أي شك في
وجود علاقة بين الدكتور الذائع الصيت مكفأى

وقضى ساعة وهو يلى على بعض تصحيحات
مشيراً إلى موضعها في النسخة التي كان يقرأ منها
وخفت صوته على حين فجأة ثم سكت . فرفعت
نظري عن الورق ونظرت إليه فرأيت مستغرقاً في
النوم . فأنطفت بعض الأنوار في هدوء ثم مشيت
على أطراف أصابعي إلى حيث علن معطني فتناولته
وغطيته به . وكان هذا المعطف في نظري عند ما لبسته
في تلك الليلة قديماً زرباً أما الآن فقد أصبح شيئاً
مقدساً عندي

ثم أدنيت كرسي قريباً منه لأستطيع أن أمتع
عيني بالتأمل في وجهه الجميل ، ولأنامل في مجموعة
أعضائه المناسبة التي تؤلف شخصاً غير عادي الوجود
وشمرت بشوق إلى أن أضغ برأسي على صدره
وأعجو بقبلي ما على وجهه المحبوب من تجاعيد
التعب . ولكنني لم أفعل فلم أكن لأفلق راحته تحت
أي موثر من المؤثرات

مرت الدقائق متتابعة ونجاوزت الساعة منتصف
الليل ، فخرج من بين شفتي نهد طويل ، وتقلب
تقلب غير المريح ، وأفلتت ساعده تدريجاً حتى سقطت
رأسياً إلى جانب الصفة . ودون أن أشعر بما أنا فاعلة
ركمت على ركبتي ورفعت تلك اليد الشفيفة التي
تواسي آلام المصابين فطبت عليها قبلة من شفتي
المتلهيتين وقد انهمر الدموع على خدي المشوهين
من آثار الحروق

وعلى حين فجأة سمعت صوته المذب يقول :
« لم هذا يا بيتي السكينه ... آجبيني يا جوديت
إلى هذا الحد ؟ »

وطوقتني ساعدها وضممتني إليه رويداً رويداً
حتى شعرت بدقات قلبه السريعة على صدري ، فجري

أثناء مرضها . ولقد عجبت من أمر طيبي المحبوب الذي تحمله الشفقة على أن يجري لسر باركر عملية جراحية كبيرة لا يتناول عليها أجراً ، ثم يفصل زوجها من خدمته قبل أن يتم شفاؤها بل حتى قبل أن تنادر فراشها ... ولقد ذهبت جميع توسلات هارى هباء فلم يقبل الدكتور مكفأى أن يصنى إليه أو يميده إلى خدمته أو حتى يعطيه توصية ما

على أنه لم يخطر لي حتى ولو في المنام أن روجر يستطيع أن يقسو على أو يمكن أن يفكر في مثل هذه الفسوة . فقد بررت سلوكه مع هارى بقلقه على الذين أقاموا الحفلة وما سببه لضيوفهم من مضايقة . وعلى غير علم منه أعطيت هارى عشرة جنيهات فقد كان طيبي كريماً في المال وكان ينفقني راتبى في مواعيده بسخاء

وكان أحياناً يؤنبني في ألفاظ عنيفة ، وينظر إلى نظرات جاحظة كمن أصابه مس في حين يكاد لا يكون هناك شيء مطلقاً يدعو إلى الغضب . وكنت ألتس له المنذر في نفسى باحتمال أن يكون قد حدث في المستشفى أمر لم يمجبه ، أو أن تكون حالة أحد مرضاه الذين يحبهم ويكرس وقته للمطف عليهم والعناية بهم قد ساءت . فكنت أحاول أن أخفف متاعبه فأوليه عناية سخية بكل أسباب الترفيه ولكن كثيراً ما جادت أوقات لم تكن فيها معاملته لى وأقواله التى تنم عن الاكتئاب لتتفق مع ما أبدى له من عواطف الحب الشديد ، فكان منظرى وجرس صوتى وحتى مجرد لى يثير في نفسه عاصفة من الغضب الزعج ، وكانت تبدو وحشيته في طلباته وكان ينتهج ابتهاجاً شيطانياً بإيذاءى وتمييزى بأنى كبحر الطاحون الملق في عنقه قاتلاً

وسكرتيرة السميمة المشوهة التى تضطر لتفادى نظر الناس إليها أن تأكل دائماً في غرفتها . وكأنا بملنان أنى أشتغل طوال النهار بالكتابة على الآلة الكاتبة ، ثم أشتغل في جميع ما يحتاج إليه من البيانات من مكتبته الكبيرة ، وأتلقى ما يمليه على من العمل المتواصل إلى أن يأذن لى بالانصراف إلى غرفتى

وما كانا ليحلمنا بحقيقة أمرى إذا ما أقفلت على باب غرفتى المحبوبة ، متمنية أن تكون هذه الليلة من الليالى التى أستيقظ فيها فأجد حبيبي إلى جانبي يضمنى في حرارة وشوق ... أما في غير هذه الليالى السعيدة فكان عزائى أن أحلم بالوقت الذى أصبح فيه زوجة لروجر

ولم أشك قط في حب روجر لى لأنه لولم يحبني لما كرر لى قوله : « إن حبك هو أعذب شيء في حياتى . فهو يتوج أياى المشحونة بالعمل - يا طفلى المريزة - أشبه ما يكون يلسم صريح لذيذ

وكان قد مر على إقامتى في بيت روجر الجليل ثلاثة أشهر عند ما رأيت إحدى نوبات غضبه الحقاء ، فقد ثار في وجه السائق هارى فدفعه أمامه وهو يهدده بقبضة يده

وكان ذنب هارى أنه أخطأ فهم تعليماته فتسبب عن ذلك تأخره عن مأدبة عشاء أقامتها إحدى الجماعات الخيرية تكريماً له ، واعترافاً بخدماته الإنسانية . ولم يرض في غضبه أن يستمع لأعذار هارى وفصله من خدمته في الحال

تألم قلبى شفقة على هارى ، فقد كانت امرأته لا تزال في دور النقامه بمد عملية جراحية وكان يدفع أجراً لامرأة تخدمها وتخدم أبناءه الأربعة في

وكدت أشمر بحرارة أنفاسه تلفح وجهي عندما
لكنى بقبضته لكمة قاسية ... فشعرت أنني أهوى
هويًا مستمرًا لا نهاية له

فلما عاد إلى صوابي وجدته راقدة فوق الصفة
وعلى رأسي قطعة من القماش مبللة بالماء البارد ،
ورأيت روجر يذرع أرض الغرفة ببعض يديه ويهمهم
باللمنات

فلما رأيته أقفت وقف ثم تناول كرسيًا وجلس
إلى جانبي ، وكانت نبرات الغضب قد اختفت من
صوته إذ أخذ يتحدثني بلهجة رجل الأعمال ، كما لو كان
يتحدث إلى أحد مرضاه فقال :

« يجب أن نخرج أمر الزواج من حسابنا
— وهذا ما يجب أن تعرفه — ولكنني سأرسلك
إلى مكان بعيد عن هنا حيث يعني بأمرك عناية تامة
و ... »

وانطبقت شفتاه انطباقًا عصبياً ثم قال في لهجة
أمر غاضبة :

« إذهي إلى فراشك . »

آه ما أقسى آلام تلك الليلة التي قضيتها ساهرة
أفكر فيما كان وفيما سيكون ، وأنا لا أدري إلى أين
يريد أن يرسلني روجر ولا ماذا يقصد أن يفعل بي
ثم ندمت على كل ما حدث !

ولو كان لي أحد من الأصدقاء أو الأقارب
أو حتى لو لم تكن تشوه وجهي هذه الحروق التي
كانت تنفر الناس مني لأمكنني أن أبتعد إلى مكان
ناء حيث أبدأ حياة جديدة مقطوعة الصلة بالحياة الماضية
ولو أمكن أن أموت !

ولكن لم يكن في استطاعتي أن أموت . فإن
الروح الذي أحمله تحت قلبي يأبى على الموت ...

أنه لا يستطيع أن يتخلص مني لأنه لا يوجد إنسان
سواه يقبلني فإني أشبه بالطائر الخفيف المنظر

وكان في أغلب الأوقات يفاخر بأن هناك
كثيرات من الفتيات الجميلات اللواتي يحببته وأنه
يستطيع أن يتزوج من أية واحدة منهن . فكان
يمثل هذه الأقوال القاسية بسحق روحي بأعنف مما
تسحقها الجروح التي في وجهي وفي ساعدي ويدي
وكانت تعقب ذلك ساعات لا نهائية وليال من
الأرق واليأس المروع ، فكنت أتمنى الموت الذي
كنت أجهن جداً من أن أجلبه بيدي

ولكن كان طبيبي الشفيق المحب يموء إلى دأماً
فيقضي مني ساعات هنية أشمر أنني قد سمعت فيها
إلى جنة السعادة . فكانت ذكريات هذه الساعات
تمحو ذكريات أوقات المذاب . وكما أنني لو أسمعته
الكلمات فاستطعت أن أوضح لك يا قارئ العزيز
مدى التفاوت بين الشخصيتين ، لملك ترى أنني
لم أكن مجنونة إذ أحببت ذلك الحب البالغ وسلمت
في كل ما بقي لي في الحياة : في نفسي وفي كرامتي
الشخصية

ثم لم يكن بد من أن أقول لروجر : « يجب أن نعقد
زواجنا الآن ، يا عزيزي ، فإني سأصبح أم طفل
صغير »

ولكنه نظر إلى نظرة المجنون وقال :

— لا ! إنك لن تقدرى !

وابيض وجهه وتقلصت عضلاته ، وأقبل نحوي
يهز يده المنقبضة هزات تهديدية عنيفة

يا لله ! لقد لبسته شخصيته الأخرى ! فلماذا
خبرته ؟ لم لم أهرب من بيته فأختنق بعيداً عنه ؟
لقد اقترب مني رويداً رويداً

بميدة تحت اسم مسز جوديت اسميث
وكانت الشقة مؤلفة من غرفتين : غرفة للنوم
وأخرى للجلوس وفيها حائز يحجب جهاز الغاز
الذي كنت أعد عليه طعامي . وكانت نافذة الغرفة
تشرف على مراع بميدة وأشجار عالية وميدان اللعب
في إحدى المدارس . وكانت تسليتي الوحيدة أن أنظر
إلى الأطفال يلعبون وأسمي كلا منهم بالاسم الذي
يروقني . والحق أن هؤلاء الأطفال هم الذين قد أنقذوني
من جنون الوحدة

ومضى الشهر الأول والثاني قبل أن يحضر
روجر لزيارتي

فلما حضر وجدته هو الطبيب المحبوب الذي
أعبدته ، وكان عذب الحديث مبتهجاً جم الشفقة
شديد العناية بمصلحتي

وأعددت ما يلزم للوضع في مصحة صغيرة على
مقربة من البيت ، وكان يعرف طبيبها ومديرتها ،
وقد أوصاني بالرياضة وقراءة الكتب المفيدة ومواصلة
الانشراح وتناول الطعام الجيد . وعند مامم بالانصراف
وضع كبة من النقود في حافظة نقودي وقال : « قد
نحتاجين لإعداد ملابس حسنة للطفل فاشتري ما شئت ؛
وإذا احتجت للمزيد فابقي إلى » ثم ضمني إلى صدره
وقبلني في حنان قبلة الوداع وقد سمانى « الأم الصغيرة »
تحسنت حالتي النفسية على أثر هذه الزيارة فعملت
بوصايا روجر التي كتبها لي في ورقة احتفظت بها
فداومت الرياضة وكلفت صاحبة البيت بابتياح ما يلزم
من الأقمشة وشغلت نفسي بإعداد ملابس الطفل
فكنت أخيط وأطرز وأنا جالسة إلى جوار النافذة
أشرف على الأطفال اللاعبين ، وقد حيي الرجاء في
نفسى وأحسست أن روجر سيحب ابنه حباً شديداً

إذ يجب أن أعيش من أجله . ولقد كنت شاعرة
أنه سيكون ولداً ذكراً ... وسيكون نسخة طبق
الأصل من أبيه ، الرجل الذي قدسته وعبدته ،
لا تلك الشخصية الأخرى الحفيرة التي لم تكن تعنى
إلا بامتلاك جسمي المحبوب . ولقد أحسست في أعماق
قلي أن روجر سيحبني مرة أخرى من أجل ابنه .
نم على الرغم من كل الآلام والأحزان التي
سببها لي والقسوة التي عاملني بها ، إذ رفض أن
يتزوج مني وأن يمتلي اسمه لطفلنا الذي لم يولد ،
على الرغم من ذلك ما زلت أرجو عطف روجر وما زلت
أحبه حباً تسرب إلى كل مكان في نفسي ، فكانت
نظرة شفيقة منه أو كلمة أو حركة كافية لأن أغفر له
كل ما أساء به إلى

ولكن جاء الصباح ولم أسمع هذه الكلمة
الشفيقة ، وكل ما سمعته أمر قصير صاح به من
الردهة أن أحزم ملابسى ، عندما دخلت حين تحمل لي
طعام الإفطار . وبدا التجهم في وجهها المستدير
الحنون وهي تسألني :

— هل غضب للأشياء كما فعل مع السكين
هارى ؟

ولم أرد أن تعرف المرأة الحقيقة الفاضحة فكتفت
بأن هزئت رأسي ، وكدت أغص عندما أبصرت
ما تجلي على وجهها من أمارات الشفقة والمطف .
وكم تمنيت لو ألقيت بنفسى بين ساعديها وأسندت
رأسي على صدرها ويحت لها بقصتي المؤلة ، ولكنني
بقيت مبتعدة عنها شاعرة بأن لا حق لي في التمتع
بحنانها

وهكذا أعددت ملابسى ، وعند هبوط مساء اليوم
التالي كنت قد استقررت في شقة مفروشة في بلدة

ولكنني لم أنتز ، فقد كنت أريد أن يعود لي
ولدي ، وطلبت أن أراه وإن كان ميتاً . نعم يجب
أن أراه وأقبل شفتيه الصغيرتين وأنامله الدقيقة مرة
أخرى ، ولكن روجر لم يقبل أن يجيب طلبتي وضغط
زر الجرس فجاءت الممرضة فأمرها أن تعطيني حقنة
مسكنة ...

وبعد يومين عدت إلى بيتي وقد أصبحت حركة
أطفال المدرسة وصيحاتهم مهزلة في نظري فلم أعد
أهم حتى بالنظر من النافذة ، بل لقد كان صراخهم
يصدع قلبي ، فكنت أسد أذني بأصابعي حتى لا أسمع ؛
ولكن على الرغم من ذلك وصل إلى أذني صوت
غلام ينادي صاحبه باسم روبرت ، فذكرت ابني
الجميل الصغير الذي لم أكد أسعد بوجوده حتى
خطفه الموت مني فرقد وحيداً في قبر صغير لا أعرف
أين مكانه

وتولاني جود نحيف فلم آكن أكل إلا نادراً
وقد سدت شهيتي دون كل شيء ، وكنت أقضي
ليالي قلقة موجعة ولم يكتب روجر إلي بكلمة واحدة
ولم يزرني

وكنت قد قطعت الأمل في عودته حين تلقيت
منه تلغرافاً يقول فيه : « أعدى حقائبك في الحال
فإني قادم لأخذك » ، وفلاً جاءني الطبيب الشفيق
الذي أعده

ولم يأخذني هذه المرة إلى بيته لأعيش تلك
الحياة المفزعة بين الحب والخوف بين شخصيتين
متناقضتين في إنسان واحد ، ولكنه أخذني إلى مسكن
صغير مؤلف من ثلاث غرف مؤثثة بأجل الأثاث
فكانت في الحق أجمل من أن تسكنها امرأة مشوهة
مثلي ...

ولم أر روجر من ذلك اليوم إلا بعد أن مضى
أسبوع على الوضع . وكان الطفل جميلاً قوى البنية ،
وكان صورة مصغرة من أبيه يحمل تقاسيمه ومميزاته .
وطفح قلبي التمتعش بحب طفلي الذي ملأ الجو حولي
سعادة ، وماذا يهمني الآن إذا كان روجر لا يتزوجني
وقد حظيت بهذا الولد المحبوب الذي سميت روبرت ؟
أليس في وجوده ما يسد فراغ حياتي الموحشة ؟
ثم جاء روجر ولعله قد وصل في المساء فقد وجدته
في الصباح جالساً إلى جانب سريري جامد الوجه تبدو
في ملامحه أثر الحزن

وسرى خوف خفي إلى قلبي فسالته في لهفة :
« ماذا هناك ؟ ما الخبر ؟ »
فقال هامساً :

— صه يا بنيثي المزبزة
ثم أشار إلى الممرضة أن تخرج من الغرفة
فلما انفردنا قال لي في صوت منخفض : « يجب
أن تتشجعي يا جوديت فقد مات طفلك في الليلة
الماضية ، إذ كان قلبه ضعيفاً ، وهذا ما يحدث غالباً
إذا كان حجم الطفل أكبر من المعتاد كما كان طفلك »
ومزت لحظات طويلة من السكون الرهيب
المؤلم ، لحظات لم أستطع بل لم أقبل أن أصدق
ما سمعت . ثم اندفعت في زفرات قوية لم أستطع
حبسها وارفع صوتي بالبكاء ، وملكني حزن قاتل .
فقد كان الأمر قضيماً إلى أقصى حدود الفظاعة .
إن الحياة لا يمكن أن تقسو على هذا الحد : لقد
فقدت أسرتي وجمالي وابني وكل شيء . وما كنت
لأستطيع أن أصدق أن الله يأخذ ابني مني ! إن الله
لا يقسو على الناس مثل هذه الفسوة . وكان روجر
في أثناء هذه الحال يحاول أن يعزيني بقوله إن
ما حدث كان هو الخير

وفي يده خاتم الزواج ، وعلى الرغم من أنني لم أر
ما يشجع هذا الأمل في نفسي استأنفت علاقتي
للماضية معه وأعطيته من حبي ومن نفسي كل ما طلب
في غير تمنع أو حذر

وحلت مرة أخرى ولكنني لم أحزن لذلك ،
فقد كنت أشعر بفراغ قاتل في حياتي منذ أخبرني
روجر أن ابني قد مات فكنت شديدة الشوق إلى
ولادة طفل سواء

فما شعرت بالحمل حتى تولتني فرحة منمشة ،
وبدأت أحلم بالمستقبل وأصوره في أبداع الصور
وأهجمها ، وانتظرت أن تسنح لي الفرصة المناسبة
لإخبار والد جنيني بحالتي راجية أن يقابل حبيبي
فرحتي بمثلاها

ولكن مرت الأيام متعاقبة طوبلة ولم يعد روجر .
ولم أكن أسمح لنفسي بالتفكير في الأسباب التي
جعلت زيارته نادرة والفترات بينها متباعدة ولكنني
عشت في حلم براق ، ثم ...

قرأت في إحدى الصحف المحلية أن الدكتور
روجر مكفأى لشدة حبه للأطفال قد تبنى طفلاً يتيمًا
في العام الأول من عمره ، ونشرت الجريدة صورة
الطبيب يحمل الطفل المتبنى

ونظرة واحدة، نظرة مرعبة كفتني لأن أعلم أن
هاتين العينين السوداوين الصغيرتين اللتين تنظران
إلى من الصورة هما عينا طفلي المحبوب روبرت ...
نعم إنه ابني ، ابني ...

وأحسست ألماً قارساً ينساب في أعصابي ،
وخيل لي أن ضربات قلبي قد وقفت وأنه يتحول
رويداً إلى قطعة من الثلج داخل صدري . وبدأت
أبين خطر الموقف كما بدأت أفهم تدريجياً كيف

ولما وصلنا إلى البيت قال لي في رقة وعطف :

— هذا هو بيتنا يا ابنتي العزيزة . وهنا المكان
الذي آوى إليه طلباً للراحة من متاعب الأيام المرهقة
بالعمل . هنا أستطيع أن أنعم بالساعات السماوية التي
لا أستطيع أن أجدها إلا بين ساعديك

نعم تأملت وامتممت امتعاضاً موجماً لأنه لم يستطع
أن يسبقني ولم يضمني بين ساعديه

وما كان أشد بلاهتي إذ لم أدرك إذ ذاك أنه

لم يكن يحب غير جسمي ، وغير العاطفة المادية
التي كنت أفرغ فيها نفسي بغير حذر . فهذا وحده
هو الذي كان ينفذ في نظره على منظر وجهي المشوه
الخفيف . وعلى الرغم من أنني شككت في إخلاصه
لي فقد ظننت أن علاقة الأبوة التي ربطت بيني وبينه،

وأن الحزن المشترك على ولدها المفقود قد قربت ما بيني
وبينه، وأنه متى زالت الموانع المتصلة بعمله فسينزوج مني
ومع ذلك فقد كان أميناً صادقاً في ناحية من

النواحي فإنه لم يكذب على قط . فقد كان يعلم مقدار
حبي له ، وأنه كان كل شيء لي في الحياة التي خلت
من الأهل والأصدقاء ، فكان يتركني أتخيل ما أشاء
دون أن يقول شيئاً ، فكنت أؤمل أن سيأتي اليوم
الذي يصحح فيه علاقتنا أمام الله وأمام الناس

نعم لقد ظننت ذلك فكان شأني شأن الكثيرات

من الفتيات اللواتي ضلن من قبل كما ضللت فأحبين
في غير حذر ... فالحق أنني كنت أنتظر أن يتزوج
روجر مني يوماً من الأيام ... نعم كنت أنتظر ذلك

اليوم على الرغم من تذكرى تلك الليلة التي أخبرته
فيها بأنني حامل فتأثرت ثورته الفظيمة وخبرني في صراحة
أن الزواج مسألة بعيدة عن حسابه . وبقيت أنتظر
أن أرى الرجل الذي حملني على حبه يأتي إلى يوماً

ستار الظلام . ترقبت لأدرس كل حركة متصلة
بذلك البيت الذى يضم ابنى المحبوب

ولكن يجب أن أحذر من أن يرانى روجر .
فما من شك فى أنه سيمر فى الحال هذه المرأة
المفنعة ، والله وحده الذى يعلم ماذا يحدث لو تقمصت
فيه إذ ذاك شخصيته الشريرة ... واضطربت لمجرد
ذكرى إنفعالاته الغظبية المتكررة ... ثم ذكرت
الوسيلة التى لجأ إليها روجر فى تبني ابنه الحقيقى ليزيد
فى الإعلان عن حبه للأطفال وعنايته بهم

ألا أذكر هذه السمعة الزيفة ! ألا أكشف
أمر ذلك الرجل ذى الشخصية الشريرة فأعلم
الناس جميعاً أن فى نفس هذا الطبيب الرقيق نفسية
شيطانية مجرمة مجردة من الإنسانية !

وفى يوم من أيام المراقبة رأيت المربية تهبط
درجات البيت تنقل عربة الهمد الصغيرة من درجة
إلى درجة فى حذر شديد ، فلما صارت فى الشارع
تقدمت منها فوقفت فى طريقها أواجه ابنى الصغير
الجميل ، ولم تكن لتستطيع اجتيازى دون أن تبدي
شيئاً من الحشونة فوقفت مكانها مغيرة فى تعاطف
فقلت : « ما أجل هذا الطفل أسمحين لى أن
أحمله لحظة ؟ »

ولكن الطفل ابتسم وتحرك فى عربة الجميلة
فاصطدم بجانبها

وتولانى شئ من الضعف فأمسكت بحافة العربة
وانحنيت عليها أمتع عيني بالنظر إلى وجه ابنى الجميل .
وما كدت أتأمل فى تقاطيعه حتى زال كل شك
فى أنه هو ولدى روبرت فددت يدي التلهفتين
على حمله

وهنا تدخلت المربية وقالت :

لم يستطع الدكتور مكفأى المروف بحبه الأطفال
المرضى أن يقاوم حبه ابنه من لحمه ودمه وأنه أراد
أن يضمه إلى صدره ويمطيه اسمه ولكن من طريق
تريد سمته وعطفه على الأطفال مكانة عند الناس
فهو بهذا التبنى يعلن عن نفسه من طريق لا تجلب
له الفضيحة والعار ...

ولكن أما ؟ إننى أنا الأخرى أحب ابنى . لقد
تأملت من أجله طويلاً ! لقد تمتعت أسبوعاً واحداً
بضمه إلى صدرى وتقبيله ثم أخبرونى أنه قد مات .
وفى خلال هذه الأشهر الطوال التى حزنت عليه
فيها وبكيتته كان هو على قيد الحياة . فأين كان ؟
وأين هو الآن ؟ ... أين روبرت ابنى ؟ لا بد من
أن أراه ... ولا بد من أن أضمه إلى صدرى مرة
أخرى

ولكن كيف أصل إلى ابنى ؟ شرعت أذرع
أرض النرفة مفكرة ... وقد بدأت أفهم لماذا
لم يحجى روجر منذ عهد طويل ، ولماذا أرسل إلى النقود
مع رسول بدل أن يحضرها بنفسه ، فهو من غير
شك كان يشعر أن هذا الحادث لن يمر دون
أن أرتاب فى أن الطفل الذى تبناه هو ابنى أنا ...
ولكن لا بد من الحصول على ابنى ... لقد أعدت
قراءة ما كتبته الجريدة التى وصفت الاستعدادات
البديعة التى أعدها الطبيب لابنه بالتبنى ، وذكرت
المربية الفنية التى أحضرها له ... وقضيت ساعات
طويلة فى التفكير وتدير الخطة التى أصل بها إلى
رؤية طفلى المحبوب

قضيت فترة طويلة فى التنزه المقابل لبيت
الدكتور مكفأى الجميل وكنت أعرف كل ركن
وكل زاوية فى ذلك التنزه الذى ترونت فيه تحت

— لا، لا تخسبه فإن الدكتور مكفاى لا يسمح

بذلك ...

فصحت :

« ولكنه ابني ... تم هو ابني ... ابني ! »
ولم ألبث أن اختطفته وجريت به بين الأشجار
فسمعت صياح المربية ورأى تنادى رجال البوليس
ولكننى أمنت فى الجرى هاربة بابنى المحبوب بين
ساعدى

ولكن ذلك لم يفدنى طويلاً فلم ألبث أن سمعت
صفارات البوليس ورأى فاخفيت بين مجموعة من
الأشجار الكثيفة ولكن صيحات الطفل الخائف
كشفت عن مكانى فأقبل على رجال البوليس فأنزعوه
من صدرى وأعادوه إلى مربيته ثم اقتادونى إلى مركز
البوليس ...

وفى أثناء المحاكمة تعرفت المربية على. وأما الدكتور
مكفاى فقد سلك سلوك الرجل الغريب الذى لا يعرفنى
فقال :

— لا شك فى أن المرأة مصابة بشيء من
الجنون وقد دفعها شيء من الهوس إلى ما فعلته ،
وإنى أوصى ...

وهنا انحنى على القاضي وتبادلا الهمسات بضع
لحظات ...

لم يكن هذا الرجل هو الطبيب المعروف بإحسانه
وشفقته ولكنه الوحش الذى يبتلع بأيدائى فى قسوة
متناهية ، ولقد أردت أن أظهر لهم هذه الحقيقة
وأقيم عليها الدليل

ولكن لم أكد ألفظ بالكلمة الأولى حتى
وضعت رئيسة السجن يدها الفليضة على فمى لتسكتنى ؛
وساعدها أحد رجال البوليس الواقف على مقربة منا

فى إعادنى إلى سجنى وأنا أصبح إنه ابني
ولم يصغ أحد إلى صيحاتى فلم تنح لى فرصة
رواية قصتى لأن رأى الدكتور مكفاى كان نهائياً ؛
وكان خير مكان لى مصحة من مصحات المتوهات
حيث يعنى بى العناية الكافية وإلى هناك أخذونى
ولقد أدركت أن المكان الذى نقلت إليه لا يمكن
أن يكون مستشفى المجاذيب الرسمى فى المقاطعة ،
لأن النرف كانت مؤتمنة بأثاث جميل ، وكانت الأرض
نظيفة معنياً بها ، وقد خصصت لى غرفة وقامت على
خدمتى إحدى الممرضات . وهذه فيما أظن حسنة
جديدة من حسنات الدكتور مكفاى

وما أجهل أن يقول الناس : « أنتملون خبر
تلك المرأة التى حاولت خطف ابن الدكتور مكفاى
بالتبني ! لقد عنى بها الطبيب الكريم فوضهها فى
مصحة خاصة وأمر بالمناية بها ودفع عنها ما تحتاج
إليه من نفقات ... أليس ذلك أمراً يدعو إلى
الإعجاب ... ! »

وكما حاولت أن أنهر فرصة لرواية قصتى لن
تجعمنى به المصادفة أوصدوا على الأبواب . وأخيراً
أدركت عقم محاولتى ، ثم أحسست الحياة الجديدة
تتحرك فى باطنى ، فقررت أنهم متى أخرجونى من
هذه المصحة إلى حيث أضع الطفل الجديد فسأكون
شديدة الحذر والحيطنة حتى لا يأخذوه كما أخذوا
أخاه من قبل

ولكننى لم أخرج من هذه المصحة وكما حاولت
الخروج أعادونى بالقوة بأكية صاحبة ... وعندئذ
أدركت أننى لن أبرحها ما حييت فتولانى اليأس القاتل
ولما حاولت أن أمهرب فخصنى الأطباء وظهرت
حالة الجنون وهنا تدخل الدكتور مكفاى مرة أخرى

وها أنا قد أصبحت بعيدة عن بلدى بضع
مئات من الأميال وحيدة لا قريب ولا صديق .
وهكذا انتهت ذكريات الأشهر الأخيرة من اهتمام
الجنون إلى سجن فى مصحة المتوهين إلى ولادة
ثم إلى الننى الأخير ، وبذلك انتهت حياتى كما انتهت
حياة كل فتاة قبلى سلمت فى نفسها من غير زواج .
وبذلك قد تخلص منى روجر إلى الأبد وما من وسيلة
لأن أعود إليه وأنا فى هذا المكان البعيد . وليس
فى يدى غير خمسة جنيهات وقد دفع لى مقدماً أجر
شهر للإقامة

سرت رعدة شديدة فى كل ناحية من تواجى
كياتى عند ما طرأت لى فكرة مقابلة الناس للبحث
عن عمل ، وكيف أقابل الناس وهم بنفرون من
منظرى إذا رفعت نقابى . هذا إلى أن نظرة الشفقة
التي تبدو فى أعينهم عند ما يرون جروحي تقع من
نفسى موقع السوط الموجه . وهكذا كتب على أن
أعيش وحيدة منقطعة عن الناس . وكان أخوف
ما أخافه أن أعاد إلى مصحة المجانين . لذلك حفظت
لسانى عن الإشارة إلى قصتى ، على الرغم من تلهفى
على صديق أفضى إليه بأمرار نفسى تفرجاً لما يحز
فيها من ألم وحسرة

وكانت الساعة الوحيدة التي أنسى فيها هموى
هى ساعة الغروب ، إذ يتلون الأفق بلون جميل ويصل
صوت نخبط ماء البحر إلى أذنى كأنه نغمات الموسيقى
المشجية . وكنت فى هذه الساعات أشعر بقوة غريبة
وأنا أمتع نظرى بما فى الطبيعة من جمال بعيدة عن
نظرات الإشفاق التي يرمقني بها الذين يرون جروحي .
وهنا كنت أشعر أن الله قريب منى فأستشعر العزاء
وبدأت أدرك تدريجاً أن الله قد غفر لى ذنوبى

وطلب أن يتولى العناية بأمرى . وقال :

— يا لها من امرأة مسكينة ، فما من شك فى
أن حالة الحمل هى التي تحدث لها هذه الاضطرابات
المصبية . وليس ذلك جنوناً فعلياً ولكنه خليط
من الأعراض المصبية والضعف العقلى . فهى إذ
تصبح أن الطفل ابنها إنما تصدر فى ذلك عن
تصورات وهمية يحدتها تطلع عقلها إلى ما سوف
يكون فى المستقبل حين تصبح أمّاً . ولكن هذه
الحالة ستزول متى وضعت طفلها

وعلى الرغم من أننى نظرت إليه مباشرة فإنه
لم يطرف طرفه واحدة ثم عن معرفته لى ، ولكن
عينى ذلك الشيطان السوداءين كانتا تبعثان بنظراتهما
التهديدية التي تبعث الرعب إلى أعماق نفسى

ولازمنى هذا الجزع إلى أن انتهت أشهر الحمل
ونقلت إلى مصحة الولادة التي لم أعرف مكانها
لأنهم نقلونى مخفورة بتحفظ شديد إلى هذه
المصحة النائية التي لم أكد أرى فيها غير وجه
الممرضة الكهله وكان وجهاً متجهماً . ولم أرفط
المولود الذى وضعته ولم أعرف إن كان ذكرًا أو أنثى
ولما استطعت أن أترك فراشى أرسلت إلى
الشاطىء الغربى لأسكتلاندة طلباً للنقاها ، وهذا
ولا شك عمل آخر من أعمال الدكتور مكفاى
الخيرية ، ولكنه كان عملاً خفياً لم يعلن عنه .
ورافقتنى فى الرحلة امرأة صامته عبوس رافقتنى
مراقبة دقيقة فلم تكن تسمح لى بالنظر إلى ما يحيط
بالطريق من معالم الطبيعة إلى أن أسكنتنى فى شبه
فندق صغير فدفعت لصاحبه مقدماً أجر شهر لإقامتى
وأعطتنى خمسة جنيهات ثم مضت عائدة إلى لندن
فيما أظن

وكررت لنفسى المرة بعد المرة « إن الله مى ،
 إن الله مى » ولكن الأيام تماقبت وهبطت الخمسة
 الجنبات إلى جنيته واحد .. ثم إلى عشرة شلنات ..
 ثم إلى خمسة . وأخيراً ذهب البنس الأخير . وهنا
 شعرت بتخاذل موئس ، وعدت أتمنى الموت المرة
 بعد الأخرى ، وتولتني الرغبة الملحة في أن أضع
 حداً لحياتي التعمسة . . . وخيل إلى أن الله نفسه
 قد نحلى عني فكانت تلك أظلم ساعات حياتي . . .
 ومع ذلك لا بد أن الله كان في ذلك الوقت أقرب
 إليّ منه في أى وقت مضى ، لأننى لم أستطع
 أن أقضى على الحياة التي وهبها لي

وقضيت ليلتين في إحدى المتنزّهات المامة ولم أندوق
 طعاماً منذ ثلاثة أيام . وكان الضعف والهزال قد أخذاً
 مني كل مأخذ عند ما دخلت مترنحة قهوة حقيرة
 النظّر أستجدي قطعة من الخبز أقف بها ما أحس
 من ألم قارس في أمعائي . وإذا شعرت بأن ساق
 تكادان تمجزان عن حملي أمسكت بالباب اتقاء
 السقوط وعندئذ وقعت عيني على لوحة كتب عليها
 « مطلوب مساعدة للمطبخ »

فدعوت الله أن يوفّقني للحصول على هذا المركز
 الحقير وألا يتركني في الطريق عرضة لمثل ما قاسيت
 من آلام

وحبست المسيرة التي كانت تخنّني ودخلت
 منها السكة ترنّحي رائحة الطعام ، وأمسكت بكرمى
 ونظرت حولي في ذهول أبحت عن أستطيع أن
 أستجديه العمل ، فوقعت عيناى على أغاظ وأصبح
 وجه رأيت في حياتي

كان الرجل بديناً طويلاً أصلع مقدمة الرأس
 كتّ الحواجب واسع الفم وقد ابتسم ابتسامة زائدة

كما غفر لجدولين الثابتة من قبل ، وأنه أحبني كما
 أحبها . فتعلّمت الصلاة من جديد ولكن لم تكن
 صلاتي بالركوع إنما كانت صلاة من أعماق نفسى
 وكل عضو من أعضاء جسمي . فلم يكن في الوجود
 من هو أحوج مني إلى صداقة هذا الصديق الذي
 لا يتقلب ولا يتغير . فهو لا بد أن يصنى إليّ ويسمعني
 ويمرّني !

ثم تولتني الرغبة وملاّ نفسي العزم على أن أعنى
 بصحتي وأقوى نفسي ، فلا بد من أن أجد عملاً ،
 وسأنتلب على شعورى حيال هذه الجروح التي
 أصابتني من جراء أدائي الواجب الإنساني ، ومتى
 وجدت عملاً فسأقتصد من أجرى وأعود إلى لندن
 حيث أطلب بابني وبالمولود الآخر الذي كنت واثقة
 من أنه لم يمّت ؛ فإن الله لا يمكن أن يحرمنى أولادى
 وامتلأت نفسي أملاً بأن الله سيمينى بصورة
 من الصور على أن أضم ولدى إلى صدرى مرة أخرى
 وعلى أن أجمل من نفسى الأم التي يفخر بها أبناؤها
 على الرغم من الأخطاء التي وقعت فيها

ولما انتهت مدة إقامتي في ذلك الفندق الصغير
 شكرت لصاحبه العيوس ضيافتها وإن لم تكن
 قدمت لي في أنفائها غير الطعام والخدمة التي دفع لها
 أجرها ... وهبطت السلم إلى الطريق وأنا أنطلق
 إلى كل لوحة كتب عليها « مطلوب موظف »
 ولقد كنت أستجمع كل ما في نفسى من قوة
 عند ما أرفع النقاب وأطلب وظيفة صرافة أو خادمة
 في مطعم أو مساعدة في حانوت أو شيء كائن ما كان
 وكان الجواب الدائم على طلبي :

« لا . نحن لا نستطيع أن نستخدمك »

مع التشديد على كاف المخاطب

أجر الأسبوع الأول سلفاً ؛ فقد مكنتي بذلك أن أعود إلى البيت الرخيص الذي كنت أسكنه فأدفع لصاحبه أجر أسبوع متأخر على وأجر أسبوع سلفاً ويبقى معي بعد ذلك شلن أو شلنان . وما كان أمتع ذلك الفراش الخشن الذي نمت عليه بعد الليلتين اللتين قضيتهما في المتزه العام ، وبعد الساعات التي قضيتها في غسيل الصحون . ونمت تلك الليلة نوماً عميقاً وأنا أشكر الله خنانه وكرمه . واستيقظت في الساعة السادسة على دقائق المنبه ، وقد حرصت على ألا أتأخر عن موعدى

وقضيت في عملي هذا ثلاث سنوات أعمل من منتصف الساعة السادسة صباحاً إلى الساعة التاسعة مساءً ، وكان مرتبى يزيد تبعاً إلى أن بلغ جنبها في الأسبوع عدا الطعام . وكم حرصت على الادخار انتظاراً لليوم الذى أستطيع فيه أن أواجه روجر مكفاى فأطالبه بابنى وبمكان الطفل الذى لم أره قط واحتفظت بعزى على ألا أقنع وجهى وعلى أن أقابل الناس غير خجولة ولا مستحيية . وبعد أن كان هذا السفور فى أول الأمر عذاباً لى ساحقاً أدركت أن النظرات القاسية وما إليها لم تكن إلا أوهاماً تخيلتها . وقد أحدث ذلك فى نفسى رد فعل عجيباً فأصبحت بخورة بهذه الجروح التي لم تعد أن تكون شاهداً على أن الله قد تخيرنى لإيقاظ الأرواح الطاهرة المديدة التي أنقذتها من الهلاك

وأخيراً وجدت لدى من المال ما يكفى لرحلتى ذهاباً وعودة . وتكرم المجوز أندى فنحنى إجازة أسبوع غير متسائل عن السبب

وهكذا عدت إلى المكان الذى قضيت فيه سنوات من السعادة والإثم والأحزان . وفى ثبات

اتساعاً ، وأردت أن أنكمم ولكن لسانى خانى وكل ما استنطمت عمله أن أشرت بأصبعى إلى اللوحة الملونة عن الخادم

فسألنى إن كنت أريد الخدمة عنده ولم يبد عليه أى أثر للجزع عند ما رأى وجهى المشوه وقد بدت أمارات الشفقة فى عينيه الزرقاوين واحتبست الكلمات فى فمى ولكن الأمل ملأ قلبى فهزرت رأسى بإيجاباً ، وزاغ بصرى عند ما رأيت خادماً يحمل آنية عليها طعام إلى أحد العملاء ، وعندئذ سمعت هذه الكلمات الواسية :

— حسنًا ستخدمين عندى ، ولكن يجب أن تأكلى أولاً ، وسأعطيك ١٥ شلنًا فى الأسبوع وكل حاجتك من الطعام ...

ثم صاح :

— هات يا نبلى ...

ثم توقف متردداً ونظر إلى متسائلاً ، فأدركت أنه يريد معرفة اسمى فقلت :

جوديت هاتون

فأمر نبلى أن تقدم إلى حساء وقهوة ثم قال لى :

— ستناولين غذاءك كاملاً بعد أن ينتهى ازدهام الظهيرة

والحق أن آندى المجوز كان حكيماً فيما صنع فقد رآنى على حافة الهلاك جوعاً ولم يرد أن يزحم معدنى بالطعام قبل أن تهدأ أعصابى . على أنى كنت جد متمبة ، ولم يكن فى مقدورى أن أطمع فوق ما أطمعت من الحساء . وبعد أن انتهى عمل المساء فى المطبخ كنت مجهودة فلم أستطع أن أتناول سوى قح من اللبن

وكم شكرت لأندى المجوز كرمه عند ما تقدمنى

وكان صوتها رقيقاً يخفف آلام ساممه فكان أشبه بنفثات الموسيقى الرقيقة في نغماتها الشجية دهشت عند سماع هذه الكلمات ، وعقدت الدهشة لساني ، فقد جردتني مقابلتها الرقيقة من سلاحي . فلم تسمعي الكلمات على قول ما كنت قد اعتزمت أن أقوله وما جئت خصيصاً لأقوله . ولكنني لم أكن أتوقع أن أقابلها . . . امرأته ! لقد كنت أتوقع أن أقابل روجر نفسه . وقد حسبت الزوج الجميلة سكوتي اضطراباً فابتسمت ابتسامة خيرة ودیمة واقتربت من الجدار فضغطت زر الجرس فدخلت في الحال خادم فأمرتها بإعداد الشاي وشمرت شعوراً غريباً وتبحرت فيما أصنع ... فلو أن هذه السيدة كانت أقل رقة أو كانت سلفة متمجرة أو حتى كانت أقل جمالاً ، إذن لكنت شفيت نفسي بإبذائها كما أوذيت أنا من قبل : ولكن قلبي حام حولها ؛ فقد كانت أجمل وألطف وأشفق من أن تعرض للأحزان والدموع . وإذا أنا قلت لها ما كنت معتزمة أن أقول فإنما أحزن هاتين المينين الباسيتين ، وأخطط هاتين الوجنتين الناضرتين بالدموع وأزيل ابتسامة السرور عن ذلك الحيا الجميل ثم جاءت الفكرة الثائرة ، فإني وإن أكن أقبح منها شكلاً وكان كل ما في وجهي ينفر الناظر إليه ، فإني أشعر في نفسي بأنني لا أقل عنها مكانة . وأني أريد ابني لأنني أحق به من كل إنسان . ولا بد لي أيضاً من أن أعرف مكان الوليد الآخر . أريد أن أضم ولدي وأن أشمر بسواعدهما الصغيرة تحيط بمنق وشفاهما الرطبة تقبل شفتي ، لقد كنت أشد ما أكون حاجة إليهما وإلى جبهما ... فلم يكن لي في الوجود شيء آخر سواهما

دققت جرس الباب الخارجي لبیت الدكتور مكفأى وسمعت دقات قلبي عنيفة وأنا أنتظر الجواب . وكان هذا القلب قد غمرته اللفة فهو يكاد يتفجر ثم فتح الباب وأدخلت إلى الغرفة التي كنت أكتب فيها مسودات كتاب روجر وقلبي يطفح حباً له وسعادة بقربه ترى ماذا يقول عند ما يراني ؟ وهل تراه حافظاً شكله الذي أعرفه ؟ وهل ترى قد ابيض شعره الأسود ؟ وهل تخطط وجهه النحيل ؟ وهل لا تزال ابتسامته الحنون وأسلوبه الرقيق في وضع يده بلطف على كتف الإنسان بواسيه ؟ وترى في أي شخصية يكون حين يلقاني ؟ أتكون شخصية الطبيب الشفيق ، أم شخصية الشيطان الشرير القاسي ؟ ومرت الرعدة في جسمي عند ما ذكرت هذه الشخصية الفظيمة ونولاني ذلك الخوف القديم ، فأنكملت حيث جلست على الكرسي أنتظر ما قدر لي ولم تلبث أن دخلت من الباب أجمل امرأة ذهبية الشعر وقع عليها نظري ، يخيل لي أنها تناهزني في عدد السنين وإن كانت تبدو أصغر مني سنًا ، ولم تبد منها أية إشارة ثم عن نفورها من منظر وجهي الشوه فلما أقبلت علي قالت :

لا بد أن تكوني إحدى مريضات الدكتور اللواتي لم أقابلهن ، ومن الجائز أن تكوني عميلة قديمة . وإني لأسف أن أخبرك بنيايه في هذه اللحظة ، فقد دعي لاستشارة في مكان بعيد ، فقد أصيب طفل مسكين إصابة بالغة في حادث سيارة .. ولكنني أنا زوجته . ولعل هناك ما أستطيع أن أقدمه لك من الخدمات

وعلى حين فجأة ألحت على أن أتناول قطعاً
أخرى من السندويش والحلوى
أتسألني إن كنت أحب أن أراها؟ لقد طفرت
الدموع من عيني وخرجت الألفاظ من بين شفتي
على صورة ما فقلت في تردد:

نعم بالتأكيد إلى ... إلى أحب الأطفال
واتنظرت حابسة أنفاسي أن أرى ولدي ودخل
الطفلان الغرفة يد أحدهما بيد الآخر. وكان روبرت
في الخامسة من عمره آية في الجمال فما كان أشد حنان
ساعدي إلى معانقته، وكانت جودي تحفة من
التحف المحبوبة، وكانت أشبه ما تكون بصورة
فوتوغرافية لي عند ما كنت في مثل عمرها.
ولم تلبث الطفلة أن نزعتهما من يدي وأخيهما ووثبت
على ركبتى السيدة الجميلة، وطوقت عنقها بساعديها
الصغيرتين. أما روبرت فدخل دخول الرجل الصغير
ومضى مباشرة إلى أن وقف إلى جانبها في أدب
وتلف إلى ما سيكون من تقديمه إلى، الأمر الذي
كان يتوقمه على ما يظهر

وقالت السيدة تقدمي لابني صاحك:
— هذه هي ... آه إنني لم أسألك يا سيدتي
عن اسمك؟
وما أستطيع أن أشرح لماذا سميت نفسي:
— مسز سميت

وعندئذ مدر روبرت يده الصغيرة القوية إلى يدي
ونظرت عينا السوداوان الصغيرتان مباشرة إلى عيني
وهو يقول:

— إنني مسرور جداً أن أراك يا مسز سميت
فما كان أشد أدبه وأجله أ
أما جودي الصغيرة فقد انكشفت كما لو كانت

ولكن الكلمات لم تخرج من بين شفتي، وجاء
الضاي. نعم سأقبل دعوتها وأزود نفسي بشيء من
الغذاء فقد كنت أشد ما أكون حاجة للغذاء
إذ لم أأفطر ولم أتناهد ... ومتى تغذيت فسأجد في نفسي
الشجاعة لأخبر هذه المخلوقة الجميلة المحبوبة أى نوع
من الرجال هو الذي تزوجت منه، وسأخبرها أنني
بحكم جميع القوانين التي تميز بين الحق والباطل
أنا امرأته لا هي، فهذا ما يجب أن يكون في نظر الله
لأنني أنا التي ولدت ابنيه، ولو أن هذه الكلمات
النفيسة لم يقل بها أحد من ذوى السلطان

وكنت أشعر أن كل بلفة أتبلغ بها تكاد
تغصني، بينما كانت هذه المرأة الكريمة توالى الحديث
بأسلوبها العذب الرفيق في مودة كأنما نحن صديقتان
منذ زمان بعيد، فأنتت على الطبيب وروت بعض
معجزاته في العلاج، فلا محجب إذا كانت نفورة به
وإذا هي أحبته من أعماق نفسها — وكانت شديدة
الإعجاب والحب لولديه روبرت وجودي ...

وهنا أمسكت أنفاسي، وشمرت بألم يحز في
قلبي، إذن كانت الريدة الثانية بنتاً وسمها باسمي.
فما من شك في أنه يحتفظ بذكرى ... ولا بد أن
يكون قد فعل ذلك حين كانت له شخصيته الرقيقة
الحنون ... وعلى حين فجأة عاد إلى عقلي الذي
كان شارداً

وقالت الزوجة:

— ولكنني أحب الطفلين كما لو كانا ابني،
وأعتقد أنني أحبهما أكثر مما لو كانا كذلك،
لأنهما يتيان ليس لهما والدان غيرنا، وأنا أعرف
الآن أنني لن يكون لي أولاد سواهما، إذ قدر لي
أن أعيش عاقراً، أتخمين أن تريهما؟

ولم ألبث أن قلت وكأني امرأة غريبة أتحدث
من مكان بعيد :

— آسف يا سيدتي إذا كنت مضطرة لتركم
الآن فلا بد لي من اللحاق بالقطار . فلم يكن لدى
من الوقت غير بضعة ساعات ... وإني لأسفة جداً
إن لم أجد الدكتور ... لا ... إنني لن أعود ...
لقد كان من حسن حظي أن لقينك ... وداعاً أيها
الرجل الصغير . وداعاً يا عزيزتي جودي

وبكى قلبي وأنا أودع طفلي الصغيرين وقلت :
— بارك الله عليكما ورعاكما

وشمرت مرة ثانية وأخيرة بهذه الأيدي
الصغيرة المحبوبة بين يدي تصالحي مصالحة الوداع
وعادني القطار إلى اسكتلانده حيث لا أزال
أعمل في مطبخ آندى المجوز الصديق الوحيد الذي
عُرت عليه في العالم

ولكن أياي أصبحت سعيدة هنية لعلني بمكان
ولدي المزيّن وتفكيرى فهما ، وأحلامي الهائلة
حولها ، وتصوري لها ينموان عاماً بعد عام وسط
السعادة التي يعيشان فيها فأتصور مراحل حياتهما
الهنية كما لو كنت معهما ... وكان يزيد في سعادتي
شموري بأنهما سعيدان في كنف أمهما الجميلة .
وإني لأسأل الله في كل وقت ألا تعرف هذه السيدة
الطيبة شيئاً عن طبيمة زوجها الشريرة ، وأن تبقى
دائماً سعيدة بشخصيته الرقيقة الكريمة ، وهي
الشخصية التي أحببتها أنا أيضاً من كل أعماق قلبي .
وكنت أدعو لها دعاء خالصاً بأن يديم الله عليهما
حبهما وسعادتهما ، وأن يسبق على حبهما وحنانها
على الولد والبنت اللذين أوجدتهما أنا في هذا العالم
عبد الحميد محمد الدينوي

خائفة فلما ألحت عليها أمها أقبلت على تمد يدها وتقول
في لهجة الطفولة :

— ما الذي سير وجهك مضحكا على هذه
الصورة ؟

فقال روبرت :

— جودي ... عيب عليك أن تقولى هذا .
ألم تقل لك أمك ...
فقلت :

لا بأس يا صغيرتي ، إن الذي سير وجهي
هكذا مضحكا أنه احترق في حريق هائلة ...

ثم فكرت أأكون أنا الذي أروى لابنتي
القصة الفاجعة ! وحقاً توقفت عن الحديث ...
وصرت أمام مخيلتي ذكريات عديدة ... وطرأت لي
أفكار لم تكن من قبل قد طرأت

لقد ذكرت هذه المرأة الجميلة في حياتها المهنية ،
وذكرت أن ولدي يعيشان في كنفهما سعيدين ممتعين
بأسعد ما يتمتع به الأطفال

ورأيت غمرفتي التي كانت عارية وقد أصبحت
تحفة من أبدع النحف في الأثاث والرياش

قدرت ذلك وما رأيت من عطف هذه السيدة
وحبها لولدي ، ونساءت ماذا يكون لو أنني رويت
قصتي وهل يصدقونني ، وإذا هم صدقوني فملا
أعيش دائماً كأني غريبة عنهم ؟

ثم سمعت حديث السيدة مع روبرت عما يثقل
من الدروس المختلفة ومن بينها دروس الركوب ،
وسمعتها تتحدث عن الطفلين وهما يصليان ، وحينئذ
أدركت مبلغ الجناية التي أجنبها إذا أنا هدمت سعادة
هذه الأرواح البريئة الطاهرة !